

The manifestations of the folklore in the novel of the bleeding stones

Abdelkabar Souhila¹

¹University Of Akli Mohand Oulhadj –Bouira (Algeria), souhila.abdelkabar@gmail.com

Received: 02/2024, Published: 03/2024

Abstract

The folklore is considered as a long track record of different performing arts which were inherited by many generations over time. It is derived from people's life as it is a mean of communication between communities and it covers people' lifestyles in the past, their stories, proverbs, past habits and traditions.

The folklore can be seen today in familial celebrations and events since it's very important for them. Therefore it is then a criss crossed world of inherited sayings and behaviours through history. The folklore also shows us different cultural aspects which reflects intellectual dimensions and it is considered as the mirror which reflects also societies' real life. In addition it proves social identity as it helps the society to keep its traditions that are clearly shown in people ' behaviours and social values.

Keywords: heritage, folklore, Stone bleeding.

تجليات الموروث الشعبي في رواية نزيف الحجر لابراهيم الكوني

عبد الكبير سهيلة¹

¹جامعة آكلي محند أولحاج البويرة (الجزائر)، souhila.abdelkabar@gmail.com

ملخص:

يعد التراث الشعبي السجل الحافل بمختلف الفنون التعبيرية التي توارثتها الأجيال عبر الزمن، وذلك لأنه نابع من حياة الشعب وهو وسيلة تواصل بين المجتمعات وذلك مما يجعله من ألوان شعبية من حكايات شعبية وأمثال وعادات وتقاليد، وكذلك نجد التراث الشعبي حاضر في مناسبات العائلات وذلك من خلال الأهمية التي يحظى بها وتجاوب فئات المجتمع معه ولذلك فهو عالم متشابك وبقايا قولية وسلوكية بقيت عبر التاريخ وانتقلت من وسط إلى آخر، كما أنه يجسد المظاهر الثقافية المختلفة وذلك لأنه يحمل أبعادا فكرية ويعتبر المرآة العاكسة التي تعكس الصورة الحقيقية للمجتمعات بالإضافة إلى إظهاره لهوية المجتمع وذلك من خلال حفاظ المجتمع على عاداته وتقاليدته التي تتجلى في سلوكيات أفراد المجتمع ونمط معيشتهم وبذلك يعتبر التراث الشعبي بمثابة الذاكرة الجماعية للأمم لأنه يظهر لنا الممارسات التي تعبر عن عادات وتقاليد وقيم المجتمع المرتبطة بالحياة.

الكلمات المفتاحية: التراث، الشعبي، نزييف الحجر.

خطة المقال:

مقدمة

1/ مفهوم الموروث

أ/ لغة

ب/ اصطلاحا

2/ مفهوم الشعبية

أ/ لغة

ب/ اصطلاحا

3/ دوافع توظيف الموروث الشعبي في الرواية.

4/ أنواعه.

5/ أهميته.

6/ مميزاته وخصائصه.

7/ تجليات الموروث الشعبي في رواية نزييف الحجر لإبراهيم الكوني.

خاتمة.

قائمة المصادر والمراجع.

مقدمة:

إن الأدب الشعبي مكون من مكونات الذاكرة لدى الشعوب فهو عبارة عن جزء من كيان الأمة وهو دليل على أصالة الأمة وكذلك يعد من مقومات الذات العربية وهو العامل على الحفاظ على هويتها في ظل التحديات الخارجية التي تتعرض لها الأمة، كما يعد التراث مخزون الأمة لذلك نجد أن الكتاب قد وصفوه بأشكال مختلفة في أعمالهم وخاصة في الفن الروائي الذي يعد من الفنون الأدبية الذي كان له انتشار واسع وقد أقبل الدارسين على فن الرواية بشكل كبير وذلك لأن الرواية شهدت تحولات وتطورات جعلتها محل البحث وإضافة عليها أساليب جديدة وأشكال حديثة ومن بينها التراث الشعبي الذي يعد النهر الذي صب في الرواية وكان له حضور كبير فيها، وهذا ما جعل معظم الدارسين يهتمون بالتراث الشعبي وبحثوا عن جمالياته في الرواية وهذا ما جعلنا نخوض في هذه الدراسة والتي تمثلت في تجليات الموروث الشعبي في رواية نزييف الحجر لإبراهيم الكوني الذي

جاءت محملة بالموروثات وعلى رأسها معتقدات الشعب الذي تجلى في عدة أشكال وضح لنا من خلالها الروائي معتقدات الشعب التارقي في صحراء ليبيا وذلك من أجل الإجابة عن الإشكالية الآتية:

-ما هي أهم المظاهر التراثية الشعبية الموجودة في الرواية؟

وكيف استطاع إبراهيم الكوني أن يبرز جماليات هذا التراث في رواية نزييف الحجر؟ واقتضت طبيعة الموضوع أن تتبع الخطة الآتية للإجابة عن هذه الإشكالية وذلك من خلال حديثنا عن: مفهوم التراث لغة واصطلاحاً والشعبي لغة واصطلاحاً وكذلك تطرقنا إلى دوافع توظيف الموروث الشعبي في الرواية وأنواعه وأهميته ومميزاته في حين كان العنصر الأخير ينطوي حول: تجليات الموروث الشعبي في رواية نزييف الحجر لإبراهيم الكوني وختمنا بحثنا بأهم النتائج المتوصل إليها وذلك من خلال اعتمادنا على المنهج الوصفي والتحليلي وذلك بتحليل مجموعة من المقاطع في الرواية.

1/ مفهوم الموروث:

أ/ لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور: «الوارث، صفة من صفات الله عز وجل، وهو الباقي الدائم، الذي يرث الخلائق، ويبقى بعد فنائهم، والله عز وجل يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، أي يبقى بعد فناء الكل، ويفنى من سواه فيرجع ما كان ملك العباد إليه وحده لا شريك له»¹.

وقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴾، قال ثعلب: يقال أنه ليس في الأرض إنسان إلا وله منزل في الجنة، فإذا لم يدخله هو ورثه غيره»².

وَوَرِثَهُ مَالَهُ وَمَجْدَهُ، وَوَرِثَهُ عَنْهُ وَرِثًا وَرِثَةً وَوَرِثَةً وَإِرَاثَةً، أبوزيد: وَرِثَ فُلَانٌ أَبَاهُ يَرِثُهُ وَرِثَةً وَمِيرَاثًا، وَأَوْرِثَ الرَّجُلَ وَلَدَهُ مَا لَوْ إِرَاثًا حَسَنًا وَيُقَالُ: وَرِثْتُ فُلَانًا مَا لَوْ أَرِثُهُ وَرِثًا وَوَرِثًا إِذَا مَاتَ مَوْرَثُكَ فَصَارَ مِيرَاثًا لَهُ»³.

و"أورثه الشيء أبوه، وهم ورثة فلان، وورثه توريثًا، أي أدخله في ماله على ورثته، وتوارثوه كإبنا عن كإبنا، ورث في ماله: أدخل فيه من ليس من أهل الوراثة، أورثه الشيء، أعقبه إياه، وأورثه المرض ضعفًا والحزن هما.

التراث: من ورث يرث ميراثًا: ما يخلفه الرجل لورثته، والتاء فيه بدل الواو، يقول بدر عامر الهذيلي: ولقد توارثني الحوادث واحدا، ضرعًا صغيرًا، ثم لا تعلموني أراد أن الحوادث تتداوله كأنها ترثه هذه عن هذه»¹.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، م2، ط1، 1990، ص199.

² - ابن منظور لسان العرب، المرجع السابق ص 199.

³ - المرجع نفسه، ص199 - 200.

- ولقد ذكرت هذه الكلمة في القرآن الكريم وذلك في: ﴿كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَلَا تَحَاضُونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ (18) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا (19) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (20)﴾².

وقوله أيضا: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾³ ونجد كذلك هذه الكلمة في كتاب قطوف أدبية لعبد السلام هارون وذلك في قوله: إن مادة تراث مأخوذة من مادة ورث التي تدور معانيها حول حصول المتأخر على نصيب مادي أو معنوي ممن سبقه من والد أو موصي نحو ذلك ولقد اجمع اللغويون على إن التراث ما يخلقه الرجل لورثته وإن تاءه أصلها الواو أي الوارث ثم قلبت الواو تاء لأنها اجلد من الواو واقوي. ولا تتغير بتغير أحوال ما قبلها كما يقولون⁴.

وقوله أيضا: « وظلت كلمة (التراث) محدودة الاستعمال، تنوب عن أختها (الميراث) في كثير من الأمر إلى أن ظل علينا هذا العصر الحديث فوجدنا هذه الكلمة تشيع بشيوع البحث عن الماضي، ماضي التاريخ، وماضي الحضارة، والفن والآداب، والعلم والقصاص، وكل ما يمت إلى القديم»⁵. كما نجد أن هذه الكلمة قد تم استعمالها في الشعر العربي وذلك في معلقة عمر بن كلثوم⁶:

وَرِثْنَا مَجْدَ عُلْمَةٍ بِنِ سَيْفٍ	***	أَبَاحَ لَنَا حُصُونَ الْمَجْدِ دِينًا
وَرِثْتُ مُهْلَهْلًا وَالْحَيْرَ مِنْهُ	***	رُهِيرًا نَعْمَ دُخْرُ الدَّخِرِينَا
وَعَتَّابًا وَكُلُّهُمًا جَمِيعًا	***	بِهِمْ نَلْنَا تُرَاثَ الْأَكْرَمِينَا

وما نستطيع استخلاصه في الأخير هو أن كلمة الموروث (التراث) تعني ما تركه الأولون للذين يأتون بعدهم.

ب/ اصطلاحا: إن للتراث دلالات عديدة ومتنوعة وهذا ما وجدناه من خلال تفحصنا في بعض الكتب التي تناولت هذا المصطلح وتجلي هذا من خلال ما قاله رمضان الصباغ حول هذا المصطلح وذلك في قوله بأنه: «ذلك الموروث الثقافي والديني والفكري، والأدبي والفني وكل ما يتصل بالحضارة والثقافة، وتراثنا هو الموروث عند السلف سواء كانوا ممن يقطنون نفس المنطقة أو غيرها. أي أن تراثنا هو الموروث في كل أنحاء العالم،

¹ - المرجع نفسه، ص 199 - 201.

² سورة الفجر، الآية 17-20.

³ -سورة مريم، الآية 06.

⁴ - عبد السلام هارون، قطوف أدبية نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث، دار السلفية لنشر العلم، ط1، مصر، 1988، ص77-78.

⁵ - عبد السلام هارون، قطوف أدبية دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث، ص78.

⁶ - عبد الله بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع تح: محمد الفاضلي، المكتبة المصرية، ط1، بيروت، 1998، ص119.

القصص والحكايات والكتابات وتاريخ الأشخاص وما يظهر من قيم، وما عبر عن هذه جميعا أو تقاليد أو طقوس»¹.

وكذلك يقول: « كما أن تراثنا هو ما ورثناه من كل الأجيال السابقة منذ العصور القديمة في مصر والصين، مروراً باليونان والمسيحية والإسلام حتى عصرنا الحاضر، كل هذا يشكل تراثاً حياً بالنسبة لنا، قد يكون هذا الجانب أقرب إلى نفوسنا من ذلك أو العكس إلا أن هذا لا ينفي أنه تراثنا جميعه»².

وعليه فإن: « التراث يمثل تحدياً للوعي الثقافي العام، وللوعي الشعري الحديث بشكل خاص، ولذا فإن التعامل مع التراث ينبع من موقف محدد مبني على وعي جمالي وثقافي، كونته الذات بقدر معين، وساهمت عوامل أخرى (المجتمع، العصر، العلاقات، الإنسانية... الخ) في تكوينه»³. وما يتضح لنا من خلال ما ذكر سابقاً أن التراث هو ما تم أخذه من جيل سابق وتداوله من طرف جيل لاحق.

وكذلك نجد ربيع الصبروت قد تحدث عن التراث وذلك في قوله على أنه: « حياة أقوام (...) لغتهم وأفكارهم وعقيدتهم وممارستهم الحياتية وراءهم، انجازاتهم وأعرافهم من عادات وتقاليد تصنع ما نطلق عليه الموروث (...) فالتراث ليس فينا نحن البشر في أي شيء آخر، ليس في الأحجار والمتاحف بل تحرك معنا وتفاعل فينا، ونفعله ونقولُه (...) ولهذا لا توجد أمة بلا تراث، فما دامت أمه فلها جذورها وحضارتها تنتقل عبر الأجيال المتمثلة لهذه الحضارة وهذا التراث»⁴.

وكذلك هو: «مصطلح شامل نطلقه لنعني به عالماً متشابكاً من الموروث الحضاري، والبقايا السلوكية والقولية التي بقيت عبر التاريخ، وعبر الانتقال من بيئة إلى بيئة، ومن مكان إلى مكان في الضمير العربي للإنسان المعاصر... وهو بهذا مصطلح يضم البقايا الأسطورية أو الموروث الميثولوجي العربي القديم»⁵.

ونجده كذلك: «يضم الممارسات الشعبية السلوكية والطقسية معاً، كما يضم الفلكلور، والميثولوجي العربية»⁶.

1 - رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، ط1، مصر، 2002، ص368.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4 - ربيع الصبروت، اللغة والتراث في القصة والرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، مصر - القاهرة، 2003، ص53.

5 - فاروق خورشيد، الموروث الشعبي، دار الشرق، ط1، بيروت، 1992، ص12.

6 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وكذلك هو: «كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي، سواء ماضينا أم ماضي غيرنا. سواء القريب منه أم البعيد»¹.

وكذلك «فليس التراث هو ما ينتمي إلى الماضي البعيد وحسب بل هو أيضا ما ينتمي إلى الماضي القريب و«الماضي القريب» متصل بالحاضر، والحاضر مجاله ضيق فهو نقطة اتصال الماضي بالمستقبل، وإذن فما فينا أو معنا من حاضرنا، من جهة اتصاله بالماضي، هو تراث أيضا»². وما نستخلصه أخيرا هو أن الموروث ما خلفه السلف للخلف في مختلف مجالات الحياة.

2/ مفهوم الشعبي (الشعبية).

أ/ لغة: هو من مادة (ش، ع، ب) الشعب: الجمع، والتفريق والإصلاح والإفساد والشعب القبيلة العظيمة ويتشعب من القبيلة وقيل هو القبيلة نفسها وجمع شعوب والشعب أبو القبائل التي ينتسبون إليه أي يجمعهم ويعظمهم»³.

ب/ الشعب اصطلاحا:

«هو مجموعة من الناس تختلف طوائفهم وطبقاتهم مجتمعين أو متفرقين، من خلال التعريفين اللغوي والاصطلاحي لكلمة الشعب نرى أنها حملت معنى مضادا هو الجمع والتفريق فمجموع القول أن مدلول كلمة الشعب مرادفه للجمع والتفريق والتباعد والانتشار والتوزع والخلود»⁴.

3/ الموروث الشعبي (التراث الشعبي):

إن التراث الشعبي يعتبر من أهم روافد الثقافة وذلك لأنه يعمل على الجمع بين المعتقدات الشعبية والعادات المتوارثة من جيل لآخر، كما أن الثقافة الشعبية لها دورا مهما وكبيرا في المحافظة على الموروثات الثقافية التي تميز المجتمعات ولذلك فإن «التراث الشعبي لأمة من الأمم تراث مشترك بين جميع الأمم ومناطقها، لأنه يعبر عن ضميرها الجمعي ويرسخ قيما نبيلة مشتركة ويتوخى أهداف حضارية واجدة لجميع ممثلة في الأمة أما تنوعه فهو دليل من دلائل عبقريتها في الوقت نفسه فهو إثراء واغتناء لتراثها المشترك

1 - محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط1، بيروت، 1991، ص35.

2 - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 - ابن منظور، لسان العرب، مج7، مادة (ش.ع.ب).

4 - مرسى الصباغ، القصص الشعبي في كتب التراث، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، د-ط، 1999، ص08.

المتربط بالبيئات ومتطلباتها وتوافق المواطنين مع مناخها وتضاريسها ومنتوجاتها»¹. وما نستطيع استخلاصه من خلال ما تم ذكره مسبقا هو أن الأدب الشعبي له ارتباط وثيق بقضايا الشعب.

3/ دوافع توظيف المورث الشعبي في الرواية:

أ/ **الدوافع الواقعية:** «أدت حرب حزيران 1967، وما تمخض عنها، من نتائج سلبية إلى خيبة أمل كبيرة ظلت تحفر عميقا في وجدان أبناء الأمة العربية، ولاسيما المثقفون الذين أدركوا أن الهزيمة لم تكن عسكرية فحسب، بل كانت هزيمة حضارية أيضا، وأن محو آثار الهزيمة النهوض من جديد يتطلبان إعادة التفكير في البنى الفكرية، والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية والثقافية للمجتمع»².

ولقد: «استجابت الرواية العربية بوصفها أحد مظاهر الثقافة في المجتمع، كما استجابت مظاهر الثقافة الأخرى، كالشعر والمسرح، لما فرضته حرب حزيران، من العودة إلى التراث، ولكن لا يعني هذا أن التوجه إلى التراث بعد النكسة تميز بخصوصه لم تكن معروفة من قبل»³.

ب/ **الدوافع النفسية:** وذلك من خلال: «وظيفة الترويح عن النفس وتثبيت القيم والتلاؤم مع أنماط السلوك»⁴.

ج/ **الدوافع الثقافية:** لقد وجد الكاتب العربي في التراث الشعبي مصدرا يعبر فيه عن ما يوجد داخله من هموم ومشاكل وما كان مخفيا في الماضي من حقائق وعليه فكان: «توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ما بذله بعض النقاد والباحثين من جهود للعودة للرواية العربية إلى تلك الأصول والجذور التراثية بدلا من ربطها بالرواية الغربية، وقد وجد هؤلاء الباحثون أن كتب التراث تنطوي على ألوان كثيرة من القصص، كالقصص الديني، والقصص البطولي، وقصص الفرسان، والقصص الإخباري، والمقامات والقصص الفلسفي»⁵.

4/ **أنواعه:** نستطيع أن نقول أن الموروث الشعبي هو ما تركه الأجداد الأولون وذلك من أجل أن نستقي منه ويكون عبرة لنا عن ما مضى وكذلك من أجل أن نعبر من الحاضر إلى المستقبل، ولذلك فتعدد أنواع التراث وتختلف وسنذكرها على النحو الآتي:

أ/ الموروث المادي:

¹ - محمد عيلان، التراث الشعبي الجزائري، مفاهيم وممارسات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية عنابة، العدد 04، الجزائر 1999، ص 167.

² - محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة - دراسة - منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 2002، ص 10.

³ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

⁴ - صالح رشيد المأثورات الشعبية والعلم المعاصر، مجلة عالم الفكر الكويتية، عدد 1، 1972، ص 72.

⁵ - محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، المرجع السابق، ص 11.

«هو تلك الفنون التشكيلية التي يشكل فيها الفنان الخامات ويحولها إلى شكل فيه رؤيا جمالية نفعية والواقع أنها نتاج موهبة لها القدرة على الخلق والابداع والإنتاج المتميز الذي يمنح الحياة جدة وطرافة وحيوية والإبداع الفني ليس حكرا لكل شخص بل هو خاصة الموهوبين القادرين على التعبير عن الميول والمشاعر والاحساسات، وتظهر هذه الأخيرة فيما يعبر عنه بالرسوم والزخارف والتشكيل»¹.

وكذلك هو: « يرتبط ارتباطا وثيقا بالحياة الاجتماعية التقليدية أو بسلوك الإنسان وقواعد عمله، ... وبالتقاليد والعادات والقيم الاجتماعية والدينية والأخلاقية، إنها فنون محافظة تحاكي الأسلاف وتنقل التراث الفني في كثير منه نقلا جامدا في غالبه دون تغيير أو تطوير، إلا ما كان من تطور الرؤيا العامة للمجتمع»²، وما نستطيع استخلاصه مما ذكر سابقا أن هذا الموروث يتمثل في الصناعات والحرف اليدوية والشعبية التي ينجزها الفرد بيديه مثل صنع الزرابي المزخرفة وصناعة الأواني الفخارية والحلي والملابس التقليدية مثل القشابية والبرنوس والسروال العربي وكذلك إلى جانب اللباس يوجد الطعام ويتمثل في إعداد الكسكس والشخشوخة وهذه المورثات الشعبية كلها تعبر عن ما توارثه الجيل الجديد عن الجيل القديم وبقي معتمدا في الحياة العصرية اليومية.

4/ الموروث المعنوي: (اللامادي)

ويتمثل هذا النوع في: «الصور الفكرية، أي الصور التي ترسم في ذهن الإنسان وهو يواجه لغز الوجود محاولا فهمه في مختلف مراحل حياة الفكر البشري واضطرابات في غيبوبته وصحته، فيما يظهره على السطح وفيما يخفيه في أعماق شعوره في أمانيه وخيبته في فرحه وحزنه في تقاؤله وتشاؤمه في صور فكرية لا تعرف التوقف أو السكون سبيلا»³.

وكذلك هو: « التراث غير الملموس، والذي يشير إلى التقاليد، وبعض المهارات التي تنتقل عبر الأجيال، ويشمل مهارات صناعة الحرف، وأساليب الزراعة وتربية الماشية، ومهارات الملاحة التقليدية، والتقاليد الشنتوية، والأغاني ومهارات الطبخ، المعتقدات والممارسات الثقافية»⁴.

ونستنتج من خلال التعريفين أن التراث المعنوي هو تراث ليس ملموسا وإنما يكون مكونا في الذاكرة ويجسد من خلال ممارسة بعض المعتقدات السائدة في ذهن الفرد والتي توضح لنا الموروث المعنوي.

1 - سويس عامر، الوشم في الفن الشعبي، مجلة التراث الشعبي العراقية، العدد 9، العراق 1978، ص25-26.
 2 - محمد عيلان، الفنون الشعبية الجزائرية (واقع وآفاق)، مجلة التواصل، العدد6، جوان 2006، ص205.
 3 - سعيد سلام، التناص التراثي في الرواية الجزائرية - أنموذجا، عالم الكتب الحديث، دط، إربد الأردن، دت، ص15.
 4 - الفرق بين التراث المادي والمعنوي، awdoo3.com، تاريخ 2023/08/7، 20:05.

- وكذلك هو: «يتكون من عادات الناس وتقاليدهم، وما يعبرون عنه من آراء وأفكار ومشاعر يتناقلونها جيلا عن جيل، وهو استمرار للفولكلور الشعبي كالحكايات الشعبية، والأشعار والقصائد المتغنى بها، وقصص الجن الشعبية، والقصص البطولية، والأساطير، ويشتمل على الفنون والحرف، وأنواع الرقص واللعب...»¹. وما يمكن أن نستخلصه في الأخير أن التراث بنوعيه المادي والمعنوي يشكل وحدة ثقافية متكاملة التي لعب من خلالها الإرث الثقافي دورا هاما في تعزيز مكانته وحفظ بقائه وتداوله عبر الأجيال.

5/ أهميته: يعد التراث على اختلاف أنواعه مصدر اعتزاز وفخر الأمم لأنه من خلال ما يحمله من قيم يوحى بالعراقة والأصالة وكذلك يعبر عن الهوية الوطنية كما أنه يصل بين الماضي والحاضر ويساهم في بناء مستقبلها «وللتراث وظيفة أساسية في تأكيد ذات الأمة باعتبار أن التراث نابع لمجموعة من الروى والأفكار والخبرات والإبداعات مما أنتجته الأمة في طول تجاربها الحياتية في حالات الانتصار والهزيمة وفي حالة الازدهار والركود، وحالات التقدم لذا فهو يجسد الذاكرة التاريخية للأمة، فالتراث ليس أمرا ساكنا ميتا، أفرزته هزائم الأمة وانكساراتها التاريخية وإنما هو تلك الحيوية والفعالية المندفعة في وجدان الأمة»².

كذلك « وتارة تتكشف فعاليته في روح المقاومة العنيدة حينما يتعرض المجتمع الإسلامي لعدوان غادر من الكفر وتارة أخرى يتبلور في حركات التجديد والإصلاح وثالثة في ما يلتهم من ابتكارات وروى مثيرة، عندما يسعى المجتمع لمواكبة العصر ويحاول الاستجابة للتحديات الكبرى، ولن يجد سبيلا أمامه سوى العودة الى الذات والذات لا تتحقق إلا بالتراث الذي به تتجلى وبه تظل قادرة على مقاومة محاولات التذويب والاستلاب والتنجين»³.

وعليه: « إن ما يهمننا من التراث في ضوء اتجاه المجتمع العربي نحو التغيير يكمن في العناصر التراثية التي تحتفظ بالقدرة على إضاءة الحاضر والمستقبل هكذا يجب فهم التراث بمعناه الكياني لا التاريخي أو الماضي فالماضي بالمعنى الحقيقي التاريخي مضى لكنه بالمعنى الكياني وبهذا المعنى يمكن القول أن فكر شخص ما أو حركة ما، مع أن الشخص انتهى منذ قرون إلا انه مازال حاضر»⁴.

وأخيرا نستخلص أن للتراث أهمية كبيرة لأنه يمثل هوية المجتمعات ومن خلال التراث نستطيع أن نتعرف على بعض المجتمعات وتكوين صورة واضحة عنها.

¹ - مجلة الفكر الثقافية www.fikRmag.com، تاريخ: 2023/08/08، 11:26.

² - عبد الجبار الرفاعي، جدل التراث والعصر، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، لبنان، 2001، ص19.

³ - طارق زيادة، اشكالية الأصالة والمعاصرة، مجلة الأزمنة، فرنسا قبرص، عدد19، 1988، ص29.

⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6/ مميزاته:

يتميز الموروث الشعبي بعدة مميزات سنذكرها على النحو التالي:

أ/ العمومية: «أي أن المادة الثقافية لكي تعتبر جزء من الفولكلور للمجتمع الذي تنتمي إليه يجب أن تكون معروفة وممارسة من قبل عدد كبير من أفراد ذلك المجتمع، وأن تكون منتشرة في جميع أجزاء المجتمع.

ب/ التقليدية: المادة الفولكلورية يجب أن تكون تقليدية في المجتمع الموجودة فيه أي أن تكون موروثاً عبر الأجيال ويشترط البعض انتقالها عبر جيلين على الأقل أي من الآباء إلى الأجداد.

ج/ الانتقال الشفوي: إن معظم التراث الشعبي ينتقل شفاهة أي عن طريق الكلام المنطوق وهناك من يشترطون الانتقال الشفوي كمعيار ضروري في تعريف الفولكلور¹ وهناك من العلماء من صنف خصائص التراث الشعبي على النحو التالي:

• التراث الشعبي ينشأ عن الحياة الاجتماعية للناس.

• التراث مكتسب غير غريزي.

• التراث الشعبي يكتسبه الفرد خلال فترة حياته من خلال علاقاته وتفاعلاته مع الآخرين.

-الموروث الشعبي يتصف بالمثالية². وما نستطيع استخلاصه أخيراً أن الموروث الشعبي نابع من حياة المجتمع وهو يكون مكتسباً من جيل إلى جيل ومنقولاً بحيث ينتقل من فرد إلى فرد وذلك من خلال التجارب التي يعيشها الأفراد خلال حياتهم وتبقى متوارثة من جيل إلى جيل.

7/ تجليات الموروث الشعبي في رواية نزيه الحجر لإبراهيم الكوني:

نجد أن رواية نزيه الحجر لإبراهيم الكوني قد جاءت مليئة بالتراث الشعبي حيث قام الكاتب بتوظيفه من أجل الكشف عن ما حوته صحراء ليبيا وشعبها من عادات وتقاليد وما زال سائداً الآن ولقد تجلى هذا في مقاطع كثيرة في الرواية وذلك من خلال ذكر الروائي للمعتقدات الشعبية السائدة في صحراء ليبيا والتي شكلت حيزاً كبيراً في الرواية وذلك في ذكر الكاتب لـ:

7-1- الشعوذة والسحر: إن السحر والشعوذة مصطلحان شائعان منذ القدم وهما من المعتقدات القبلية التي حاول الإنسان استخدامها لذلك نجد أن توظيف السحر والشعوذة في رواية نزيه الحجر قد تمثل في عنوان التمام وقد ظهر هذا في قول السارد: «ليس مسعود وحده الذي أتى يحيط عنقه بالحجاب وإنما جون أيضاً، تربع

¹ - خميس حياة، ادريس لعبيدي، التراث الشعبي (المفهوم، الأقسام وأساليب جمعه)، مجلة الدراسات الأكاديمية، العدد 04، 2021، ص 162.

² - خميس حياة، ادريس لعبيدي، التراث الشعبي المرجع السابق، الصفحة نفسها.

بجوار الموقد وأخرج الحصن الجلدي المرسوم بإشارات السحرة الزنوج، ولوح به أمام وجهه متباهاً تتاوله قابيل وقلبه بين يديه ثم قال: هذا وشم شياطين «كانو» هذه خطوطهم هذه رموزهم، من أين لنصراني أمريكي يعيش معلقاً في جبل نفوسة بحصن الجن هذا؟...صاح قابيل: «استغفلموني، لم يقل لي أحد أن الأحجية ضرورية لوليمة الودان»¹. وما يتضح لنا من خلال هذا المقطع هو أن قابيل قد آمن بهذا الحجاب الذي كتبه سحرة الزنوج برموز غامضة وكلمات ليست واضحة أو مفهومة وذلك من خلال ما قاله قابيل على أن هذا الحجاب سيحميه من أي لعنة قد تصيبه وخوفه من عدم وضع حجاب مثل جون الأمريكي.

كذلك نجد أن مصطلح السحر والشعوذة قد ذكر في مقطع آخر وقد تجلى ذلك في: «ما اسم أمك؟ قال جون: ألا يكفي اسم أبي؟ قال الساحر: هذا شأن، بدون معرفة اسم أمك لن يستقيم شيء، قال جون: ولكن أبي، هو أبي، نفذ صبر الزنجي، فصرخ: أمك هي التي ولدتك ولكن أباك مشكوك في أمره»². ما اتضح لنا من خلال هذا المقطع هو أن المشعوذين والسحرة يطرحون عدة أسئلة على الشخص الذي يأتي عندهم وذلك من أجل اللعب بعقله ولأنه إنسان شعبي لا يعرف عن مكائدهم شيئاً وبذلك يؤمن بما يقولون وما يفعلون وكذلك نستنتج أن السحر والشعوذة من معتقدات الناس الذين يعيشون في الصحراء فهم كانوا يمارسونه متى احتاجوا لذلك.

7-2- الأمثال الشعبية: عند قراءتنا لرواية نزيه الحجر اتضح لنا أن الرواية احتوت كثيراً على الأمثال الشعبية التي استقاها الروائي إبراهيم الكوني من بيئته وذلك من خلال محاولته أن يوضح لنا سبل التعبير عن حياتهم اليومية وهذا ما ظهر جلياً في عدة مقاطع من الرواية وذلك في قول السارد: «اللي بيبي الورد يتحمل شوكة، هل تعرف هذا المثل؟»³. وما يتضح لنا من خلال هذا المثل هو أن الإنسان إذا أراد الوصول لشيء معين فلا بد أن يتحمل الصعوبات التي تواجهه وضرب لنا الروائي مثلاً عن الصحراء وهي لا بد على الإنسان الذي يعيش في الصحراء أن يكون صبوراً ومتحملاً لكل الصعوبات التي تواجهه فيها لذلك فإبراهيم الكوني عند استعماله لهذا المثل الشعبي أراد أن يستفيد القارئ من هذا المثل من خلال الحياة اليومية التي يعيشها وذلك من أجل تغلبه على أهم صعوبات الحياة التي يواجهها وهذا ما حدث مع قابيل الذي في كل مرة يريد شرب الدماء لذلك كان لا بد عليه أن يصبر ويتحمل صعوبات الحياة في الصحراء.

¹ - إبراهيم الكوني، نزيه الحجر، دار التنوير للطباعة والنشر، ط3، بيروت لبنان، 1992م، ص132.

² - الرواية، ص133.

³ - الرواية، ص119.

7-3- الإيمان بالأولياء الصالحين: إن فكرة الإيمان بالأولياء الصالحين فكرة منتشرة بين الناس في الصحراء والمقصود بكلمة ولي: «الإيمان هو المؤمن النقي المتبع للقرآن والسنة بفهم سلفنا الصالح»¹. لذلك نجد أن فكرة الإيمان بالأولياء الصالحين فكرة سائدة لدى القبائل حيث أنهم يؤمنون بهم بدرجة كبيرة وهذا ما ظهر في مقطع من مقاطع الرواية وذلك في قول السارد: «وفي الليل ذهبوا إلى الزاوية، ونظموا حفلة ذكر، جذبوا فيها حتى الفجر، إكراما للولي، وفرحا بحلول الذات الإلهية في المخلوق البائس»² وما نفهمه من خلال القول هو أن هؤلاء القبائل كانوا يقدسون الأولياء الصالحين حتى أنهم قضوا ليلة كاملة إكراما للولي ظنا منهم أن الولي الصالح هو الجالب للخير والسعادة وأنه هو الذي يخرجهم من المشاكل والمآزق وذلك باعتقادهم أن الولي الصالح إنسان قريب من الله ويملك قدرة على خلق المعجزات وهذا يعتبر شركا.

كذلك نجد أن إبراهيم الكوني قد وظف هذا المعنى السائد لدى قبائل الصحراء في مقطع آخر وذلك من خلال: « ذلك كان أول لقاء وآخر لقاء بين أسوف وأهل الواحات، توجه إلى «مساك ملت، حيث ترعى جماله، هناك فتح الله بابا لا يفتحه إلا لأوليائه...»³.

وكذلك: «هل كان دراويش الصوفية يقرأون الغيب في رؤياهم عن الولاية والحلول» وما نستطيع استخلاصه في الأخير أن الكاتب إبراهيم الكوني قد قام بوصف عادات وتقاليد القبائل الموجودة في صحراء ليبيا وذكر أهم المعتقدات التي سادت عندهم وكانت متداولة بينهم وكانوا يستخدمونها وقت حاجتهم لها.

7-4- الحكاية الشعبية: إن الحكاية الشعبية لها صفة التداول الشفوي في الوسط العام، كما أن الحكاية الشعبية هي حكاية غير مكتوبة وهذا ما يجعلها قابلة للزيادة أو النقصان (الحذف والإضافة)، وكذلك هي لا تنسب لراو معين بل متداولة على ألسنة الناس ويتناقلونها جيل عن جيل كما أن طابعها سمعي لأنها تروى شفويا وتعتمد على السمع وترتبط عموما بالأسماء والجدات وخاصة في فترة الليل التي يكون فيه السمع وتكثر فيه الحكايات بشتى أنواعها لذلك فالحكاية هي: «شكل قصصي يتخذ مادته من الواقع النفسي والاجتماعي الذي يعيشه الشعب»⁴.

-ولقد وظف إبراهيم الكوني الحكاية في روايته نزيف الحجر ولقد تجلت على النحو الآتي: «رأت الغزالة الحكيمة الوحشة في عين صغيرتها، فحدثتها عن السبب الذي جعلها تجرؤ على البقاء وتتخلف عن طوابير المهاجرين،

¹ - أولياء الله الصالحون، شبكة الألوكة www.alukah.net

² - الرواية، ص 84.

³ - الرواية، الصفحة نفسها.

⁴ - مصطفى أو شاطر، شعبان فتحة، الحكاية الشعبية من وجهة نظر أنثروبولوجية، حكاية "الفلاح والريش" نموذجاً، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، عدد 04، 2016، ص 245.

وقبل أن تدخل في تفاصيل الحصن الحصين، رأيت أن تلقننا الأمثلة وتقص عليها حكاية عن الوطن، قالت لها في إحدى الأمسيات إن الخالق لما خلق الروح عين لها حدودا وحبسه في ثلاثة سجون: الزمان والمكان والجسد»¹.

وكذلك: «أنهت الغزاة الحكيمة قصتها، فوقفت على قوائمها، ورفعت رأسها نحو قمة الجبل كأنها تقرا تعويذة موجهة إلى السماء»².

ومن هنا يتضح لنا من خلال ما ذكر سابقا أن إبراهيم الكوني قد وظف الحكاية على لسان الحيوان وذلك من خلال حكاية الغزاة والتي كانت مستقاة من الصحراء وذلك ليبين لنا أعمال الإنسان الشنيعة ضد الطبيعة ومحاولته نهب خيراتها بمختلف الطرق وكذلك من أجل أن يوضح لنا كيف ساهمت الحضارة الحديثة في طمس الماضي وقضت على الموروث الشعبي الذي يعتبر جزء من هوية الإنسان.

خاتمة:

بعد إنهائنا لهذا البحث الموسوم ب: تجليات الموروث الشعبي في رواية نزيه الحجر لإبراهيم الكوني وصلنا إلى مجموعة من النتائج كانت على النحو الآتي:

- رواية نزيه الحجر نهلت من الموروث الشعبي بكل أنواعه من مثل وحكاية شعبية.
- إن توظيف إبراهيم الكوني للتراث الشعبي قد كان واضحا في الرواية حيث جاءت فصول الرواية مليئة بأشكال متنوعة من التراث الشعبي.
- إن إحياء التراث وبعثه بصورة جديدة كانت من بين الأهداف التي سعى إبراهيم الكوني للوصول إليها وذلك من خلال أخذه من التراث الشعبي من أجل الربط بين الماضي والحاضر.
- إن توظيف إبراهيم الكوني لعادات وتقاليد الشعب التارقي في صحراء ليبيا نابع من محاولته للربط بين ماضي المجتمع وحاضره وذلك من خلال الارتباط الوثيق بالجذور التاريخية للمجتمع والتحويلات التي طرأت عليه.
- إن توظيف التراث بجميع أشكاله ومميزاته يتمثل في انتقال معتقدات ومعارف وعادات وتقاليد من زمن إلى زمن يعني من جيل إلى جيل.

¹ - الرواية، ص 109.

² - الرواية، ص 113.

-إن اهتمام إبراهيم الكوني بالتراث الشعبي وتوظيفه في رواية نزيه الحجر كان من أجل أهداف سياسية واجتماعية التي سعى الروائي على تحقيقها من خلال حضور التراث الشعبي واتخاذها وسيلة للتعبير عن قضاياها السياسية والاجتماعية.

-إن إبراهيم الكوني عندما عبر عن تراث شعب الطوارق ومعتقداتهم كان دليلا على أنه يوضح بأنه ينتمي إلى شعب له معتقدات وأفكار خاصة به.

-إن التراث الشعبي هو الرابط بين ماضينا وحاضرنا والذي لا نستطيع الاستغناء عنه.
وفي الأخير نحمد الله على إتمام هذه الدراسة ونتمنى أننا وفقنا ولو بالقليل.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، م2، ط1، 1990.
- 2) عبد السلام هارون، قطوف أدبية نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث، دار السلفية لنشر العلم، ط1، مصر، 1988.
- 3) عبد السلام هارون، قطوف أدبية دراسات نقدية في التراث العربي حول تحقيق التراث.
- 4) عبد الله بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع تح: محمد الفاضلي، المكتبة المصرية، ط1، بيروت، 1998.
- 5) رمضان الصباغ، في نقد الشعر العربي المعاصر، دراسة جمالية، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، ط1، مصر، 2002.
- 6) ربيع الصبروت، اللغة والتراث في القصة والرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، مصر - القاهرة، 2003 .
- 7) فاروق خورشيد، الموروث الشعبي، دار الشرق، ط1، بيروت، 1992.
- 8) محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية للنشر، ط1، بيروت، 1991.
- 9) مرسي الصباغ، القصص الشعبي في كتب التراث، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، د-ط، 1999.
- 10) محمد عيلان، التراث الشعبي الجزائري، مفاهيم وممارسات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية عنابة، العدد 04، الجزائر 1999 .

- (11) محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة - دراسة - منشورات اتحاد الكتاب العرب، دط، دمشق، 2002.
- (12) صالح رشيدى المأثورات الشعبية والعلم المعاصر، مجلة عالم الفكر الكويتية، عدد1، 1972.
- (13) سوسن عامر، الوشم في الفن الشعبي، مجلة التراث الشعبي العراقية، العدد 9، العراق 1978.
- (14) محمد عيلان، الفنون الشعبية الجزائرية (واقع وآفاق)، مجلة التواصل، العدد6، جوان 2006.
- (15) سعيد سلام، التناص التراثي في الرواية الجزائرية - أنموذجا، عالم الكتب الحديث، دط، إربد الأردن، دت.
- (16) الفرق بين التراث المادي والمعنوي، awdoo3.com، تاريخ 2023/08/7، 20:05.
- (17) مجلة الفكر الثقافية www.fikRmag.com
- (18) عبد الجبار الرفاعي، جدل التراث والعصر، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت، لبنان، 2001.
- (19) طارق زيادة، اشكالية الأصالة والمعاصرة، مجلة الأزمنة، فرنسا قبرص، عدد19، 1988
- (20) خميس حياة، ادريس لعبيدي، التراث الشعبي (المفهوم، الأقسام وأساليب جمعه)، مجلة الدراسات الأكاديمية، العدد04، 2021
- (21) إبراهيم الكوني، نزيه الحجر، دار التنوير للطباعة والنشر، ط3، بيروت لبنان، 1992م.
- (22) أولياء الله الصالحون، شبكة الألوكة www.alukah.net
- (23) مصطفى أو شاطر، شعبان فتيحة، الحكاية الشعبية من وجهة نظر أنثروبولوجية، حكاية "الفلاح والريش" نموذجا، مجلة آفاق للعلوم، جامعة الجلفة، عدد 04، 2016.